



الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن من نعم الباري **جَلَّ وَعَلَا** على الإنسان أن جعل خلقته أجمل المخلوقات، وهيئته أفضل الهيئات، فهو متناسب الأعضاء، منتصب القامة، فما من شيء يحتاج إليه ظاهراً وباطناً إلا وهو مركَّب فيه<sup>(١)</sup>، لهذا امتنَّ الله تعالى عليه بهذه النعمة في مواضع عديدة من كتابه فقال **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨]، وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

ومن تلك النعم التي ميَّزه بها عن سائر مخلوقاته: نعمة النطق، لهذا خصَّها **جَلَّ وَعَلَا** بالامتنان فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾﴾ [البلد: ٨-٩]، إلا أن هذه النعمة إن لم تُضبط بالشرع، ويُرَاعَى فيها حدود الله فإنها تنقلب نقمة على صاحبها، إذ هي مصدر كثير من المعاصي، ومنبع ما لا يُحصى من المخالفات، يقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** منبهاً على هذه الحقيقة، ومحذراً من تبعاتها: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكْفِّرُ اللِّسَانَ -أي: تَذِلُّ وتُخَضِعُ له<sup>(٢)</sup>- فتقول: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمَّتْ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجَتْ اعْوَجَجْنَا»<sup>(٣)</sup>.

ومن آفات اللسان الكبيرة، ومزالقه العظيمة ذلكم العمل الذي جرى على ألسنة كثير من الناس، وفشا في كثير من المجتمعات مع ورود النصوص بالنهي عنه، والتحذير منه، ووَصَفِهِ بأشنع الأوصاف المنفرة عن القيام به، ألا وهو: الحلف بغير الله تعالى، وإليك -أخي القارئ- هذه الحادثة

(١) انظر: «تيسير الكريم الرحمن للسعدي» (ص ٩١٤، ٩٢٩).

(٢) انظر: «فيض القدير للمناوي» (١/٢٨٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٠٧) واللفظ له، وأحمد (١١٩٠٨)، وحسنه الألباني في

«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٧١).

المبيّنة لعناية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنهي عن الحلف بغير الله ، ومبادرته بالإنكار على من صدر منه ذلك .

أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدرك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو يسير في ركب ، ويحلف بأبيه ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « **أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُم أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَضْمَتْ** »<sup>(٤)</sup> ، فبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ مَمَّا نَهَانَا عَنْهُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا :

الحلف بغيره سبحانه من الآباء وغيرهم - كما سيأتي - ، وذلك أن الحلف بالله تعالى حق خالص لله ، فلا يُحْلَفُ إِلَّا بِاللَّهِ ، كما لا يُصَلَّى إِلَّا لِلَّهِ ، ولا يُنْذَرُ إِلَّا لِلَّهِ ، ولا يُصَامُ إِلَّا لِلَّهِ ، ولا يُتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، ولا يُخَافُ إِلَّا مِنْ اللَّهِ ، وما كان حقاً خالصاً لله لم يكن لغيره فيه نصيب<sup>(٥)</sup> ؛ ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الحديث : « **مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَضْمَتْ** » ، يقول القرطبي رَحِمَهُ اللهُ : « وهذا حَصْرٌ في عدم الحلف بكل شيء سوى الله تعالى وأسمائه وصفاته »<sup>(٦)</sup> .

ومن تأمل هذا العمل - أعني الحلف بغير الله - وجد فيه مفسد كثيرة ، كل مفسدة أدهى من الأخرى وأعظم :

**من ذلك :** أن الحلف بغير الله فيه مشابهة للكفار في حلفهم بغير الله ، وذلك أن حلف المسلمين لا يكون إِلَّا بِاللَّهِ ، وحلف الكفار يكون بغير الله تعالى على اختلاف أنواع المحلوف به عندهم ، فمن حلف بغير الله فقد شابه الكفار في هذا العمل . **ومن ذلك :** الوقوع في خصلة من خصال الجاهلية ، فإن من المشهور المعروف أن من خصال الجاهليين في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحلف بغير الله ، كالحلف بالهتهم التي يعبدونها كالألات والعزى وهبل ، أو الحلف بالآباء والأجداد ، وغيرهم ، ومما يوضح هذا قول ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : « **وكانت قريش تحلف بآبائها** » ، فقال - أي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

(٤) رواه البخاري (٦٦٤٦) ، ومسلم (١٦٤٦) .

(٥) انظر : «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١/٨٠-٨١) (٩٣/٢٧) .

(٦) «الجامع لأحكام القرآن للقرطبي» (٦/١٧٥) .

« لا تحلفوا بأبائكم » (٧).

**ومن ذلك:** أن في الحلف بغير الله تعظيم غير الله بما هو مختص بالله تعالى<sup>(٨)</sup>، وإذا كان الحلف خاصاً بالله لم يكن لغير الله فيه نصيب - وإن قلَّ -، وهذه المفسدة تجرُّنا إلى ذكر مفسدة أخرى، وهي نتيجة في الحقيقة للمفسدة السابقة، وهذه **المفسدة هي:** الوقوع في تشبيه المخلوق بالخالق فيما هو مختص بالخالق - جل شأنه -، يبيِّن هذا الإمام المقريري - أحد علماء الشافعية - فيقول **رَحْمَةُ اللَّهِ** في أثناء حديثه عمَّا هو مختص بالله من الأعمال: **«ومن خصائص الإلهية: السجود، فمن سجد لغيره فقد شبهه به، ومنها: التوكل، فمن توكل على غيره فقد شبهه به، ومنها: التوبة، فمن تاب لغيره فقد شبهه به، ومنها: الحلف باسمه، فمن حلف بغيره فقد شبهه به»**<sup>(٩)</sup>، وهذا نص صريح من هذا الإمام على أن الحلف بغير الله فيه تشبيه المخلوق بالخالق فيما هو مختص بالخالق.

ولأجل هذه المحاذير العظيمة التي يقع فيها الحالف بغير الله، والمفاسد الكبيرة المترتبة على ذلك **تكاثرت النصوص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنهي عن الحلف بغير الله بصيغ متنوعة، وألفاظ مختلفة، وفي مناسبات متعددة، فعن سعيد بن عبيدة قال: كنت عند ابن عمر، فحلف رجل بالكعبة، فقال ابن عمر: وَيْحَكَ لا تفعل، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ حلف بغير الله فقد أشرك»**<sup>(١٠)</sup>.

وعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **« لا تحلفوا بأبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون »**<sup>(١١)</sup>.

(٧) رواه البخاري (٣٨٣٦)، ومسلم (١٦٤٦).

(٨) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٥٣١/١١).

(٩) «تجريد التوحيد المفيد للمقريري» (ص ٤٥).

(١٠) رواه أبو داود (٣٢٥١)، وأحمد (٥٥٩٣)، وابن حبان (٤٣٥٨) واللفظ له، وغيرهم، وانظر: «إرواء الغليل» (٢٥٦١).

(١١) رواه أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٧٦٩)، وابن حبان (٤٣٥٧)، وصححه

الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٢٤٨).

والمراد بالأنداد المنهي عن الحلف بها في الحديث: ما كان يتخذ آلهة من دون الله تعالى (١٢).

وعن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تحلفوا بالطواغي ولا بأبائكم**» (١٣).

و«**الطواغي**»: هي الأصنام.

وعن بريدة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**» (١٤).

وعن قتيبة بنت صفى الجهنيّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَمَنْ حَلَفَ فليَحْلِفِ بربِّ الكعبة**» (١٥).

ومقصود الحديث: من أراد الحلف فلا يحلف بالكعبة (١٦)، وإن كانت عظيمة في النفوس، كبيرة في القلوب، وإنما يُحلف بربِّ الكعبة عَزَّ وَجَلَّ وتقدّست أسماؤه.

وبهذا التحذير الشديد المتواصل منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعلم قبح الحلف بغير الله وخطورته، وأن هذا النهي منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامٌّ: فيشمل كلّ ما سوى الله تعالى سواء كان المحلوف به نبياً من الأنبياء، أو ملكاً من الملائكة، أو كان المحلوف به أباً أو أمّاً أو رأس الولد، أو كان المقسم به الشرف أو الأمانة ونحو ذلك مما لا حصر له ولا عدّ، والأحاديث صريحة في العموم، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل يمين يُحَلَفُ بها دون الله شرك**» (١٧)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ بغير الله فقد أشرك**» (١٨).

وبما أنّ الحلف بغير الله تعالى شرك بنصّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحكمه، فإنّ يمين الحالف إذا كانت بغير الله فإنها غير منعقدة باتفاق الأئمة

(١٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣٥/٥).

(١٣) رواه مسلم (١٦٤٨).

(١٤) رواه أبو داود (٣٢٥٣) واللفظ له، وأحمد (٢٢٩٨٠)، وابن حبان (٤٣٦٣)، والحاكم (٨٠٠٩)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٤).

(١٥) رواه النسائي (٣٧٨٢)، وأحمد (٢٧٠٩٣) واللفظ له، وغيرهم، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١١٦٦).

(١٦) انظر: «فيض القدير للمناوي» (١٢٠/٦).

(١٧) رواه الحاكم (٤٦)، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٠٤٤).

(١٨) سبق تخريجه.

كما نص على ذلك الإمام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** (١٩).

ومما يجدر التنبيه عليه: أَنَّ الحكم بالشرك الوارد في الحديث على من حلف بغير الله محمول على الشرك الأصغر، غير المخرج من الملة، وفي إيضاح هذا وتقريره يُقال: إن الحلف بغير الله تعظيم - كما تقدم - و«هذا النوع من التعظيم لا يصلح إِلَّا لله **عَزَّوَجَلَّ**، وتعظيم غير الله بما لا يكون إِلَّا لله شرك، لكن لَمَّا كان هذا الحالف لا يعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله لم يكن الشرك شركاً أكبر، بل كان شركاً أصغر، فمن حلف بغير الله فقد أشرك شركاً أصغر...» (٢٠)، وقد قرر هذا غير واحد من العلماء المعتبرين المشهورين كالطحاوي وغيره (٢١)، ولهذا وجب على من صدر منه الحلف بغير الله أن يبادر بالتوبة والاستغفار والعمل بما أمر به النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في قوله: **«مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فليقل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...»** (٢٢)، فهذه هي كفارة الحلف بغير الله.

لقد كان لتقرير هذه المسألة من نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وتأكيده على حُرْمَتِهَا أثرها البالغ في نفوس أعلم الناس بشرع الله، وأفهمهم لمراد الله ومراد رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وأحرصهم على تطبيق دين الله وهم الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، لهذا تعددت عنهم الآثار بالتحذير من الحلف بغير الله، والتشديد على من يصدر منه ذلك.

من ذلك ما رواه أبو نعيم بسنده إلى خُناَس بن سحيم قال: **«أقبلتُ مع زياد بن جرير من الكُنَاسَةِ، فقلتُ في كلامي: لَا وَالْأَمَانَةِ. فجعل زياد يبكي ويبكي، حتى ظننتُ أني أتيتُ أمراً عظيماً، فقلتُ له: أكان يُكره ما قلتُ؟ قال: نعم، كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**

(١٩) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٥٠٦/١١).

(٢٠) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٢١٥/٢).

(٢١) انظر: «شرح مشكل الآثار للطحاوي» (٢٩٧/٢).

(٢٢) رواه البخاري (٤٨٦٠) واللفظ له، ومسلم (١٦٤٧).

ينهى عن الحلف بالأمانة أشدَّ النهي» (٢٣).

وها هو حبر الأمة وترجمان القرآن يقول في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]: «الأنداد هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: **والله وحياتك يا فلان وحياتي...** لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك» (٢٤).

ومراد ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أن الآية عامة في تحريم الشرك بأنواعه، فهي وإن كانت في الأكبر إلا أنها تشمل ما دونه، ومنه الشرك في الألفاظ، الذي منه الحلف بغير الله، كالحلف بحياة المخلوق كما مثل بذلك ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**. وقال ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «لأنَّ أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق» (٢٥).

ولعلَّ البعض يستغرب هذا من ابن مسعود، لكن يُقال: لا غرابة إذا عُرِفَ أن «الحلف بغير الله شرك، والحلف بالله توحيد، وتوحيد معه كذب خير من شرك معه صدق» (٢٦). ولأهمية هذا الموضوع اعتنى مدوّنو السنة وعلماء الحديث بالنصوص الواردة في المسألة، فأوردوا تلك الأحاديث الواردة في النهي عن الحلف بغير الله في مصنفاتهم، وبوّبوا عليها أبواباً عديدة تُظهر حرصهم، وشدة غيبتهم على حقوق الله تعالى، وحمائيتهم لدينه جل وعلا (٢٧).

وبما تقدم من النصوص السابقة يستفيد المسلم عدة فوائد:  
١- تحريم الحلف بغير الله؛ لِمَا سبق من النصوص في ذلك، ولِمَا اشتمل عليه هذا العمل من مفسد.

(٢٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩٦/٤).

(٢٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٩) بإسناد جيد، كما قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في «تيسير العزيز الحميد» (ص ٥٠٩).

(٢٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٩٠٢)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٩٥٣): صحيح موقوف، وانظر: «إرواء الغليل» (٢٥٦٢).

(٢٦) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٨١/١).

(٢٧) انظر: البخاري مع الفتح (٥٣٠/١١)، ومسلم مع شرح القاضي (٤٠٠/٥).

وصحيح ابن حبان (١٩٩/١٠) وما بعدها.

٢- أن النهي عن الحلف بغير الله عامٌ، لعموم الأدلة في النهي عن ذلك، ودون التفريق بين مخلوق وآخر.

٣- أن النهي عن ذلك يشمل جميع صور حالات الحلف بغير الله، سواء على جهة التعظيم أو لا، وسواء على سبيل الجدِّ أو المزاح وما شابه ذلك.

٤- عناية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقضايا التوحيد، وسدّه كل ما يؤدي إلى خدشه أو الإخلال به ولو كان يسيراً في أنظار الناس، أو محلّ تساهل عندهم، ولهذا نظائر، منها: ما جاء من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رجلاً قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما شاء الله وشئت، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عَدُوًّا، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»<sup>(٢٨)</sup>، وهكذا شأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سائر المسائل المخالفة لتوحيد الله أو المؤدية إلى الإخلال بالإيمان به، مما يدل على شدة اهتمامه ببيان هذه المسائل وإيضاحها، وأن على المسلم أن يقتدي بنبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيجعل قضايا التوحيد وشرح مسائل الإيمان من أولويات اهتماماته، فيسعى في توضيحها للناس بالتي هي أحسن، وبالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لمزيد من المطويات



(٢٨) رواه أحمد (١٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (١٣٠٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢١٧/٣)، وحسنه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٣٩).